



بعد مرور أكثر من عام على انتفاضة الشعب السوري وثورته التاريخية الكبرى التي اندلعت، مواكبة للربيع العربي، في 15 مارس/2011م، بدأت الأمور تتضح بشكل كبير، حيث تميزت الأطراف وأفصحت كل عن وجهه، وأدرك الجميع أنها ثورة من أصعب الثورات التي عرفها العصر الحديث، فالشعب الثائر يقف وحيداً محروماً من السلاح، في مواجهة دكتاتور مستبد دموي.. يشعر بالسعادة كلما ارتوى من دم شعبه.

وإذا كان التاريخ القديم يتذكر "نيرون" الذي أحرق روما وجلس يغنى على أطلالها، فإن ما يفعله المجرم بشار فاق ما فعله "نيرون"، فذاك الروماني ربما انتابته لوثة عقلية.. أما هذا السوري فيقتل الأطفال والشيوخ والنساء ويهدم البيوت على رؤوس الأسر ويحول المدن والقرى إلى خرائب، ثم يسير في موكب من وزرائه ومستشاريه ومساعديه وقادته العسكريين، لكي يتفقد الدمار والخراب ولكي ينتشي بمنظر جثث القتلى، ولكي يعلنها واضحة لمستشاري السوء: هذا الخراب لا يكفيوني.. أريد المزيد والمزيد.

إنها إرادة الله، أن يدفع هؤلاء الأبراء السوريون أرواحهم الطاهرة في هذا الموقف الذي يثير ضيق وغيظ وحنق كل صاحب ضمير وكل صاحب نخوة. لقد اعتقد الثوار في سوريا أن إخوانهم العرب لن يتركوه، فبعد أن يحمي الوطيس وتشتد المعارك ويزيد عدد القتلى، سيتدخل العرب لوقف المجازر وتحقيق أمنية الشعب السوري في الحرية والعدالة والمساواة والكرامة.

ولكن غاب عن الثوار السوريين أن هذا ليس زمن الرجال، إنه زمن آخر، حيث يتخذ فيه القادة الأميركيان والغربيون القرار نيابة عن العرب، وحيث الجامعة العربية العلية حاصل جمع علـل عديدة بعـد كل دولة عـربية عـلى حـدة. وقد فعلت الجامعة العلـية ما تستـطيعـ، لأن غالـبية قـادـتها لا تـهمـهمـ إـلاـ كـراـسيـهمـ ولا يـرغـبونـ فيـ إـيقـافـ المـجـرمـ عنـ إـجـراـمـهـ، فـهـمـ يـكـرهـونـ الـيـوـمـ الـذـيـ اـنـدـلـعـتـ فـيـ الـثـورـاتـ الـعـرـبـيـةـ. وـبـالـتـالـيـ فـإـنـ إـلـقاءـ الـلـوـمـ عـلـىـ الـأـمـيـنـ الـعـامـ لـلـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ خـطـأـ فـارـجـ، فـالـقـادـةـ الـعـربـ يـخـاطـبـونـ هـمـ قـائـلـينـ: إـنـ أـنـتـ إـلاـ موـظـفـ لـدـيـنـاـ تـفـعـلـ مـاـ نـرـيدـ، وـلـاـ مـجـالـ لـكـ لـاتـخـاذـ أـيـ قـرـارـ لـاـ نـرـضـيـ عـنـهـ، وـاعـرـفـ حـجـمـكـ جـيـداـ، وـقـالـ بـعـضـ الـعـربـ مـثـلـ ذـلـكـ لـسـلـفـ.

الدم السوري الطاهر الذي يسـيلـ أـنـهـارـاـ يـهـزـ ضـمـائـرـ الـعـالـمـ، وـلـكـنـ عـالـمـ قـاسـ لـيـسـ لـهـ قـلـبـ، إـنـهـ عـالـمـ الـمـصالـحـ الـمـادـيـةـ وـالـعـلـاقـاتـ الـتـجـارـيـةـ وـالـصـفـقـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ. الـقـادـةـ الـغـرـبـيـوـنـ يـحـاـولـونـ النـوـمـ فـلـاـ يـسـتـطـيـعـونـ مـنـ شـدـةـ تـأـنـيـبـ الـضـمـيرـ، فـيـطـنـونـ وـجـوهـهـمـ بـالـوـسـائـدـ وـيـضـعـونـ أـصـابـعـهـمـ فـيـ آـذـانـهـمـ، كـمـ يـقـولـ الـحـقـ: تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ: {وـإـنـيـ كـلـمـاـ دـعـوـتـهـمـ لـتـغـفـرـ لـهـمـ جـعـلـوـاـ أـصـابـعـهـمـ فـيـ آـذـانـهـمـ وـأـسـتـغـشـوـاـ ثـيـابـهـمـ وـأـصـرـوـاـ وـأـسـتـكـبـرـوـاـ اـسـتـكـبـارـاـ} [نـوـحـ: 7]. وـتـكـونـ النـتـيـجـةـ هـيـ التـفـاعـلـ الـجـزـئـيـ مـنـ الـأـزـمـةـ الـكـبـرـىـ عـنـ طـرـيقـ الـمـوـافـقـةـ عـلـىـ وـسـاطـةـ كـوـفـيـ عـنـانـ الـأـمـيـنـ الـعـامـ الـأـسـبـقـ لـلـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ.

الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ وـالـدـوـلـ الـأـوـرـوـبـيـةـ لـاـ يـرـيدـونـ دـعـمـ الـثـورـةـ الـسـوـرـيـةـ كـمـ دـعـمـواـ الـثـورـةـ الـلـيـبـيـةـ، لـأـنـ سـوـرـيـاـ لـيـسـ فـيـهاـ النـفـطـ الـلـيـبـيـ الـذـيـ يـسـيلـ لـهـ لـعـابـ الـغـرـبـ. وـلـأـنـ بـقـاءـ نـظـامـ الـمـجـرمـ بـشـارـ يـرـيحـ إـسـرـائـيلـ تـمـاـمـاـ لـأـنـ وـأـبـوـهـ لـمـ يـطـلـقـ طـلـقـةـ وـاـحـدـةـ عـلـيـهـ، وـإـسـرـائـيلـ تـفـرـحـ تـمـاـمـاـ بـأـنـ يـدـيرـ خـصـمـهـ الـحـربـ ضـدـهـ فـقـطـ مـنـ خـلـفـ مـيـكـرـوـفـونـاتـ الـإـذـاعـاتـ وـكـامـيـرـاتـ الـفـضـائـيـاتـ، وـالـغـرـبـ يـرـيدـ مـاـ تـرـيدـ رـبـبـتـهـ إـسـرـائـيلـ. وـلـأـنـ الـغـرـبـ لـنـ يـجـلـسـ لـكـيـ يـرـىـ وـيـتـمـتـعـ بـنـجـاحـ الـثـورـاتـ الـعـرـبـيـةـ ثـورـةـ بـعـدـ أـخـرـيـ، وـهـوـ يـعـلـمـ أـنـ هـذـهـ الـثـورـاتـ مـعـنـاهـاـ أـنـ الـشـعـوبـ الـعـرـبـيـةـ سـتـتـحـرـرـ إـرـادـاتـهـاـ وـأـنـ قـرـاراتـهـاـ سـتـتـخـذـ فـيـ عـوـاصـمـهـ الـعـرـبـيـةـ لـصـالـحـ أـبـنـائـهـ الـعـربـ وـلـنـ تـتـخـذـ فـيـ الـعـواـصـمـ الـأـوـرـوـبـيـةـ وـوـاـشـنـطـنـ.

وـالـحـلـ الـوـحـيدـ الـذـيـ يـرـاهـ الـغـرـبـ هـوـ الـلـعـبـ بـالـكـلـمـاتـ وـالـتـصـرـيـحـاتـ وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ الـحـلـ الـسـلـمـيـ وـنـبـذـ الـعـنـفـ مـنـ جـمـيعـ الـأـطـرـافـ، وـإـدـانـةـ الـأـفـعـالـ الـعـسـكـرـيـةـ وـالـجـرـائـمـ. لـيـسـ أـكـثـرـ. وـالـحـجـةـ جـاهـزـةـ: إـنـاـ فـعـلـنـاـ كـلـ مـاـ نـسـتـطـيـعـ مـنـ أـجـلـ وـقـفـ الـعـنـفـ، وـلـوـ سـلـحـنـاـ الـمـعـارـضـةـ الـسـوـرـيـةـ سـتـحـدـثـ مـجـازـرـ، وـنـحـنـ نـخـافـ عـلـىـ الـدـمـ الـسـوـرـيـ.

وـهـذـهـ حـجـجـ وـاهـيـةـ، فـالـقـوـمـ إـذـاـ خـلـصـتـ نـوـاـيـاهـمـ فـانـ فـيـ أـيـدـيـهـمـ الـكـثـيرـ الـذـيـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـفـعـلـهـ، حـتـىـ لـوـ كـانـ فـعـلـاـ غـيرـ عـسـكـرـيـ، وـلـوـ أـحـسـتـ رـوـسـيـاـ مـنـهـمـ الصـدـقـ فـيـ النـوـاـيـاـ وـالـقـوـةـ فـيـ الضـغـطـ، فـإـنـهـاـ سـوـفـ تـغـيـرـ مـوـقـفـهـاـ، فـالـمـوـقـفـ الـرـوـسـيـ لـيـسـ عـقـائـدـيـاـ وـلـاـ مـبـدـيـاـ وـإـنـمـاـ هـوـ مـوـقـفـ يـدـافـعـ عـنـ مـصـالـحـهـ، وـلـوـ عـوـضـ الـغـرـبـ رـوـسـيـاـ عـمـاـ سـتـفـقـدـهـ جـرـاءـ إـنـهـاءـ دـعـمـهـ لـلـنـظـامـ الـسـوـرـيـ سـتـغـيـرـ مـوـقـفـهـاـ فـوـرـاـ، وـكـذـلـكـ الـصـينـ.

الـمـوـقـفـ الـأـمـرـيـكـيـ الـغـرـبـيـ أـصـبـحـ مـتـنـاغـمـاـ مـعـ الـمـوـقـفـ الـرـوـسـيـ، فـإـذـاـ كـانـتـ رـوـسـيـاـ وـالـصـينـ قـدـ اـسـتـخـدـمـتـاـ حـقـ النـقـضـ فـيـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ الـدـوـلـيـ ضـنـدـ مـشـرـوـعـيـ قـرـارـ يـنـدـدـانـ بـالـقـمـعـ الـذـيـ يـمـارـسـهـ النـظـامـ الـسـوـرـيـ ضـنـدـ الـمـعـارـضـةـ وـالـذـيـ أـوـقـعـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـةـ آـلـافـ قـتـيلـ مـنـذـ بـدـءـ الـاـحـتـجـاجـاتـ الـشـعـبـيـةـ قـبـلـ عـامـ بـحـسـبـ الـمـرـصـدـ الـسـوـرـيـ لـحـقـوقـ الـإـنـسـانـ، فـإـنـهـ بـمـجـرـدـ أـنـ مـارـسـتـ الـدـوـلـ الـغـرـبـيـةـ ضـغـوطـاـ نـسـبـيـةـ، صـوـتـتـ مـوـسـكـوـ وـبـكـيـنـ عـلـىـ بـيـانـ رـئـاسـيـ فـيـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ يـدـافـعـ وـسـاطـةـ كـوـفـيـ عـنـانـ وـيـطـالـبـ دـمـشـقـ بـتـقـديـمـ اـقـتـراـحـاتـهـاـ الـلـتـسـوـيـةـ فـيـ أـسـرـعـ وـقـتـ.. وـهـوـ مـاـ حـدـثـ مـؤـخـراـ وـجـعـلـ دـمـشـقـ تـرـدـ بـإـلـيـجـابـ عـلـىـ خـطـةـ كـوـفـيـ عـنـانـ ذـاتـ السـتـ نـقـاطـ.

فالرئيس الأمريكي باراك أوباما يبدي تأييده لتقديم "مساعدة غير عسكرية" للمعارضة السورية، ويتفق ورئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان على ضرورة إرسال مساعدات "غير عسكرية" إلى المعارضة السورية، وعبرت واشنطن عدة مرات عن معارضتها تسليم أسلحة للمعارضين السوريين.

ونحن نقول: إننا نتمنى أن تكمل مهمة كوفي عنان بالنجاح، خاصة بعد أن قبلها نظام المجرم بشار، فخطوة عنان المكونة من ست نقاط ترمي إلى إنهاء سفك الدماء في سوريا، وتدعى إلى وقف القتال تحت رقابة الأمم المتحدة، وتدعى إلى انسحاب القوات الحكومية من المدن التي تكثر فيها المعارضة، وتدعى إلى تحسين سبل وصول المساعدات الإنسانية، لكن نجاح الخطة يعتمد على طريقة تنفيذها، لأن لدينا محاولة سابقة لوقف العنف شارك فيها مراقبون تابعون للجامعة العربية فشلت لأن النظام السوري تعاون معها ظاهريًا ولكنه عمد في الواقع على إفشالها، وهو يمكن أن يكرر الأمر نفسه مع مهمة عنان. لذلك؛ فلن ينجح عنان إلا إذا تم دعمه دعماً كاملاً وأميناً في السر والعلن وليس أمام الميكروفونات والكاميرات فقط من الدول الغربية ومن روسيا، وقبل ذلك كله من الدول العربية التي يجب أن تعلم أن بيدها الكثير والكثير لنصرة الثورة السورية التي لم تفعله بعد، وأن عليها أن تتحلى بالصبر والنفس الطويل، شريطة أن تأخذ موقفاً قوياً وواضحاً ومبذلاً من إزاحة المجرم الباعثي.

نعلم مسبقاً أن القمة العربية في بغداد ستبحث الموضوع السوري كبند أساسي في إطار القرارات التي صدرت من المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية، ولكنها لن تناقش تنحي المجرم بشار، وهذا ما قاله الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي، لكن هل يستشعر القادة العرب مسؤولياتهم في هذه القمة؟ وهل يحرك مشاعرهم دماء عشرة آلاف شهيد سوري يخاصمون هؤلاء الحكماء العرب أمام الله يوم القيمة؟.

إن وزراء الخارجية العرب بمجرد أن دعوا وزير الخارجية الروسي إلى اجتماعاتهم في القاهرة، فسمع منهم وأحس بهم، حدث تغير جزئي في موقفه، هذا التغير يمكن أن نلمسه في الانتقاد الذي وجهه الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي، عبد اللطيف الزياني، إلى تصريحات أدلى بها وزير خارجية روسيا، سيرغي لافروف، حول الأزمة السورية، معتبراً أنها غير موفقة، ولا تنسجم وروحية الاتفاق الذي تم التوصل إليه في القاهرة بين موسكو والجامعة العربية من خمس نقاط ويشكل أرضية معقولة للتحرك الدبلوماسي.

تصريحات سيرغي لافروف التي أثارت استياء واستغراب الزياني هي قوله عن إغلاق دول مجلس التعاون الخليجي لسفاراتها في دمشق بأنه يعود إلى "أسباب غير مفهومة". أمين العام لمجلس التعاون الخليجي يرى أن هناك شبه إجماع عالمي على إدانة الجرائم التي يقترفها النظام السوري في حق شعبه، وأن العالم أجمع شهد أن جوهر الأحداث الأليمة في سوريا هو إرادة وطنية للشعب السوري لإقامة نظام سياسي ديمقراطي يحترم حقوق الإنسان، ويケفف المساواة بين المواطنين السوريين كافة، بما يتنافى تماماً مع وضعها في إطار طائفي، وبما لا يتفق على الإطلاق مع التحذير من حكم مقبل لأحد مكونات الشعب السوري على حساب مكوناته الأخرى.

لكن يبدو أن الزياني نسي أن تغييرًا مهمًا في الموقف الروسي يتطلب جهداً دبلوماسياً عربياً كبيراً، وعلى وجه الخصوص من الدول الخليجية التي يمكنها تعويض روسيا عن علاقاتها الاقتصادية مع سوريا، بالمقابل المستمرة والضغط العربي الفردي والجماعي سوف يتغير الموقف الروسي تدريجياً. أما بذلك جهد محدود، كما رأينا مع الوزير الروسي، ثم تركه بدون تنميته والإضافة إليه، فإن النتيجة ستكون أن يقول لافروف لإذاعة "كومرسنت" الروسية: "إن هناك مخاوف من قيام عدد من الدول بالمنطقة بممارسة ضغوط من أجل إقامة نظام حكم سني في سوريا في حال سقوط النظام الحالي".

لو خرجت القمة العربية المنعقدة في بغداد بمقررات قوية وبموقف قوي وموحد من الأطراف التي تدعم النظام السوري المجرم في جرائمه ضد الشعب السوري، فإننا سنرى حتماً تغييراً في الموقف الروسي، وإذا كان الرئيس الروسي يحذر (في

موقف إعلامي ليس أكثر) من أن خطة مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سوريا كوفي عنان تشكل الفرصة الأخيرة لتجنب حرب أهلية في سوريا، وأنه لهذا يقدم دعماً كاملاً لعنان، وإذا كانت موسكو تنتقد ما تسميه "التأخير الكبير" من الرئيس السوري في تطبيق الإصلاحات وتحذر دمشق من مخاطر تصعيد الأزمة إذا لم يصغ النظام السوري لنصائحها، وإذا كان مصدر في الكرملين يتحدث عن "موقف الأسد الصعب"، فإن الموقف العربي القوي، والتحرك الدبلوماسي العربي، والحديث العربي الصريح عن تقديم البديل لروسيا، بل والضغط العربي على الولايات المتحدة وعلى الأطراف الفاعلة في أوروبا، كل ذلك سيجعل التصريحات الإعلامية تلتتصق مع الواقع وتتحرك على الأقل في اتجاه وقف المذبحة وإرغام النظام المجرم على خطة للتغيير السلمي، تحفظ الدماء أولاً، وتوقف آلة القتل والدمير ثانياً، وتجعل مستقبل الشعب السوري في يده ثالثاً، يقرر ما يشاء، وي منتخب ما يشاء، تحت حراسة ورعاية ورقابة دولية، تمنع التزوير والتلاعب.

و قبل أن يحدث ذلك، لا بد من استمرار الصمود، ولا بد أن تستمر جذوة الثورة مشتعلة، ورغم الظلام الحالك إلا أن بصيص النور بدأ يظهر في تزايد الانشقاقات في الجيش النظامي، وإذا تسارعت الوتيرة فسيصبح الأمر خطراً حقيقةً يعجل بنهاية المجرم، وبدأ الأمل يظهر في توحيد العمل العسكري المعارض، ل توفير أكبر حماية ممكنة للثوار ومدنهم وأحيائهم وقرائهم، كما حدث مؤخراً في الإعلان عن إنشاء مجلس عسكري يهدف إلى توحيد قوى المعارضة المسلحة ويرسم الاستراتيجيات العامة للجيش الحر، تحت رئاسة العميد مصطفى الشيخ والعقيد رياض الأسعد.

المصدر: موقع الإسلام اليوم

المصادر: